قصة اجتماعية

المجند

للقصصي الكبير بلزاك

فى أمسية من أمسيات نوفمبر سنة ١٧٩٣ اجتمع فى صالون مدام " داى " بقرية " كارنتال " الفرنسية عدد من كبار شخصيات القرية . وكان صالون مدام " داى " يعتبر بحق المنتدى اليومى للطبقة العليا من موظفى حكومة الثورة ، فيقضون السهرة فيه . وأصبحت تلك الاجتماعات دورية مألوفة . وشاءت المقادير أن تجعل لاجتماع هذا المساء أهمية خاصة.

كانت مدام " داى " قد أوصدت أبواب دارها أمام زائريها فى الليلتين السابقتين وأخبرت خادمتها بأن تعتذر إليهم بتوعك صحتها وعدم استطاعتها استقبالهم .

كان هذا الحادث الصغير موضعا للاستغراب بل الاستنكار خصوصا فى ظروف كظروف سنة ١٧٩٣ الثورية ، ومدام " داى " من الأشراف الملكيين ، وهى تعلم جيدا أن كل تصرف شاذ من الأشراف هو مسألة " حياة أو موت " .

كانت مدام " داى " أرملة ضابط كبير من قواد الجيش ، برحت البلاط عند ما هاجر الأشراف من فرنسا . ولما كانت لها أملاك واسعة ورثتها عن زوجها بقرية " كارنتال " فقد التجأت اليها على أمل أن تكون بعيدة ولو بعض الشيء عن خطر الارهاب .

ومع أن مدام " داى " لم تكن تعرف بحكم بيئتها إلا الأشراف من أهل القرية فقد استطاعت بما أوتيت من لباقة وكياسة أن تفتح منزلها لمختلف الهيئات التى تولت السلطة بعد الانقلاب الثورى ، فعملت على اجتذابهم نحوها معللة كل منهم بالانتصار على قلبها . . .

فهى جميلة جذابة ذات دلال ورقة ، يحمى هذه المغريات أخلاق عالية ، ولباقة نادرة. فكانت تطمع هذا بلا طائل ،وتمنى ذاك دون بذل ، تمنح هذا رضاها .ولا ترفض لذاك تملقه.

ومع أنها قد جاوزت الثامنة والثلاثين من عمرها فقد ظلت محتفظة بكل ما لها من تقاطيع الجمال النورمندى مع طلعة ارستقراطية وقوام رشيق ، وهندام أنيق . يشع من وجهها ضوء خلاب ، ويتلألأ فوق هامتها نور ساطع ، وتلتمع عيناها بنور قوى دافق يحوى الدعة والأسى العميق . فكنت تقرأ فى عينيها صورة من صور الحزن المكبوت .

ومبعث هذا الأسى العميق لا يخفى على من يعرف قصة مدام " داى ". فقد تزوجت

فى مقتبل العمر بضابط مسن أذبل فى نفسها عاطفة الشباب، وملأ قلبها حزنا عميقا . فضوء الحب الذى تلاشى من نفسها، هو عينه ذلك الحزن الذى يتجلى لمن يتعمق فى عينيها الجميلتين، وقلما يتجلى فى حركاتها .

إن هذه العاطفة التى حرمتها تركزت فى عاطفة واحدة ، عاطفة أسمى من العواطف التى عرفتها القلوب . عاطفة الأمومة ! !

إن تلك السعادة التى كانت تتمناها فى صباها ، ولذة الهوى الذى حرمته قد تحولتا إلى عاطفة واحدة اختصت بها شخصا واحدا ، شخصا فريدا : عزيزا، شغل كل فراغ قلبها.. شخص ابنها ! !

انها تحبه وتعبده ، انها تحبه بكل ما تملك من حب و بكل ما تستطيع من عاطفة .

انها تحبه حبين . حبها الغريزى كأم ، وحبها كامرأة لم تحبب أحدا فى حياتها . فانضم الحبان حتى أصبح حبها أقوى من كل حب ، وكاد أن يكون هياما ، بل كاد أن يكون نارا تتأجج .

انها تواقة دائما اليه . قلقة إذا غاب ، تعسة إذا طال هذا الغياب . وهاهو الآن بعيد عنها ، لا تعلم من أمره شيئا ... هى التى ليس لها فى الحياة من أمل سواه .

عين هذا الابن الشهم فى الثامنة عشرة ضابطا فى الجيش برتبة ملازم ، وما أن هبت الثورة ، وهاجر الأشراف، حتى تقدم الكونت الشاب لينضوى تحت لواء اخوانه الأشراف المهاجرين . فهاجر مع أمراء فرنسا وأشرافها فى فترة الثورة المعروفة بحكم الارهاب .

ولم تهاجر معه أمه واحتملت ألم غيبته عنها لكى تحفظ ثروتها العظيمة لابنها لتضمن سعادته . وكانت أموال المهاجرين وأملاكهم تصادر فى تلك الفترة ، فرأت أن تبقى هى لتسهر على المحافظة عليها . وقد رضيت بذلك لما كانت تسمع كل يوم من حوادث الفتك بالأشراف، لقد أثلج صدرها نوعا أن ابتعد وحيدها عن خطر " الجيلوتين " وبهذا التدبير الصادر عن أمومة صادقة أبعدت الخطر عن ابنها وعن ثروته .

ولم يكن من السهل اقامتها فى " كورنتان " كسيدة من الأشراف تملك ثروة عظيمة فى تلك الجهة، ثروة هى مطمع الشعب الفقير الثائر ... فحياتها كانت معلقة فى خيط رفيع واه . ولكن بقوة هذا الحب العجيب لابنها أمكنها أن تعمل المستحيل . فسرعان ما اكتسبت محبة فقراء هذه القرية بعطفها عليهم بالكثير من المال ، وحسنت كثيرا من بؤسهم كما أرضت ذوى السلطة من رجال الحكومة بفتح منزلها لهم وتنظيم تلك السهرات الممتعة .

كان ضيوفها كل مساء هم رئيس المقاطعة وعمدة المركز والنائب العام و بعض القضاة . وكان أكثرهم يتملقونها أملا فى التزوج منها . وكثيرا ما استعملوا تارة طريقة التلميح الى السلطة الواسعة التى فى يدهم ، وتارة بالتنافس على حمايتها من الخطر المحدق بها .

كان أكثرهم تهافتا النائب العام لأنه كان قبل وظيفته هذه وكيل أعمالها فى مدينة " كان " فهو الوحيد الذى يعرف حقيقة ثروتها الضخمة . بل هو الوحيد الذى يستطيع أن يعمل كل شيء بما له من السلطة الواسعة ... غير أن مهارة هذه الأم قد فاقت كل حد فاستعملت غريزة المرأة فى الخداع والتسويف لاكتساب الوقت أملا فى استقرار الحالة وعودة ابنها فى القريب العاجل . وظلت على سياستها هذه معهم طول المدة. حتى تلك الليلة التى شذت فيها بتصرفها الغريب ومنعت الزيارة بغتة !

انتشر الخبر فى القرية . وما أكثر الفضوليين فى القرى : فكل يحدس ، وكل يخمن ، وكل يستقرئ ؛ وسرعان ما زادت الاشاعات والتأويلات واشتركت نساء القرية وفتياتها وشيوخها ورجالها وانطلق كل يبحث عن خبر يذيعه أو حكاية ينشرها .

تفاقمت المشكلة فى اليوم التالى وازداد اللغز التباسا ! ذلك أن نساء القرية أذعن خبرا جديدا وهو : أن إحداهن رأت "بريجيت" خادمة الكونتس تشترى من السوق أرنبا بريا وجميع أهل القرية يعرفون أن الكونتس لا تأكل لحوم الصيد ! فمن هنا أصبح حديث الأرنب نقطة بحث وتنقيب جديدين ...

وصفوة القول أن الكل يوجهون لها من الشبهات الخطيرة ما لو صح لسلط سيف الإعدام على الرقاب .. لذلك همس اليهم المدعى العمومى بصوت خافت ألا يذيعوا شيئا من ذلك كى لا يحرجوا مركزه .

وكان من أهل القرية تاجر شيخ يخلص لها الصداقة ، هو شقيق العمده ، لم يطق صبرا على هذه الحال : لذلك ذهب وألح فى مقابلتها . فلما قابلها فى الحديقة تجمع الزهور فى وعاء الأزهار ، نقل إليها حديث أهل القرية ، وتأويلاتهم وصارحها بشكوكهم. عند ذلك شخصت إليه مدام داى بنظرات كنظرات المجنون جعلته يرتجف :

تعال تعال معى . وأخذته من يده حتى صارت به فى مخدعها ، ثم أخرجت من صدرها خطابا ذابلا ماوثا ودفعته إليه صارخة : اقرأ ! ثم سقطت فى كرسيها واهنة القوى .

وما كاد ينتهى من قراءة الورقة حتى فهم المسألة ! " اشترك ابنها فى حملة جرانفيل التى وقعت فى الأسر ، فكتب لها من سجنه يطمئنها على صحته ويبلغها أنه وجد طريقا للهروب وقد رتب كل شيء بصفة مأمونة جدا وأنه سيصلها فى ظرف ثلاثة أيام وسيحضر متخفيا" .

وفي ختام خطابه ودعها بحرارة إذا لا قدر الله ولم يحضر في اليوم الثالث . ورجاها أن تعطي حامل الرسالة مبلغا عظيما مكافأة له على توصيلها بالرغم مما كان يحف به من الاخطار .

ثم تناولت السيدة النبيلة الرسالة بعد أن قرأها صديقها الشيخ قائلة وهي تنهض : وهاهو اليوم الثالث !

ولكنك ياعزيزتي ارتكبت طيشا : لماذا أرسلت في شراء بعض الحاجيات من السوق . افترضت أنه سيأتي هالكا من الجوع !

كفى ! إني واثق من أخي ، وسأذهب إليه الآن وأحمله على مساعدتك بكل مستطاع .

وقبل أن ينصرف اتفق معها على معالجة الخطأ الذي حدث ورسم لها التلفيق الذي يقال وراح في القرية يذيع تلفيقته المرسومة ... اذاع أنه زار اليوم الكونتس (داى) وأنها قد استردت صحتها بعض الشيء وأنها من هـذا المساء على استعداد لمقابلة زائريها كالمعتاد بالرغم من توعكها ...... ولم يعدم الشيخ المحنك أجابات مقنعة لكل سؤال من أسئلة النورمانديات الفطنات بفطرتهن إذ كانت كل عائلة تسأله عن نوع المرض ... وطبيعته ... وشكله وصفته ! ولكنه كان أمهر عندما اخترع الوصفة المتفق عليها والتي صادفت نجاحا كبيرا .. "أن نزلة شديدة في المعدة أصابت الكونتس وأن صديقها القديم الدكتور ترونشان السويسري كان قد وصف لها ذات مرة في حالة مثل هذه ، أن تضع على بطنها جلد أرنب بري ... مسلوخ حديثا ! وأن تمكث في الفراش دون أي حركة ... فما كان منها إلا أن اتبعت الوصفة بكل بدقة ... حتى زال الخطر ! "

وسرعان مانالت هذه الأكذوبة الملفقة إعجاب الريفيات ! بل إن طبيب القرية نفسه زكاها و برهن علميا على صحتها !

غير أن بعض الرءوس العنيدة الصلبة كانت لم تزل متشككة ...... لذلك بادروا وتسابقوا لأن يكونوا أول الزائرين عند الكونتس في المساء .

راح الزائرون أفواجا يقصدون صالون مدام (داى) في هذا المساء الخطير : البعض لمجرد الاستطلاع ...... والبعض ليهنئ الدكتور ترونشان ... في شخصها الكريم ! والبعض بحكم الصداقة راح يبارك شفاءها ......

وجدوا الكونتس جالسة أمام الموقد في الصالون في تواضع أهل القرية وقد تعمدت أن تبعد الرياش الارستقراطية الفخمة هذا المساء ، وأن تتخلى عن مظاهر الأبهة المعتادة حتى لاتظهر أمامهم بمظهر يزيد عما يألفه الديموقراطيون ، وعوضا عن ذلك أعدت لهم وليمة عشاء حوت كل ما يطيب لهم .

فالجمع الآن حافل: أعيان البلدة بعائلاتهم ، وكبار التجار ، وأرباب الحل والعقد، وقد ألتفوا جميعا حولها فى دائرة كبيرة ، وكم من الأسئلة تطرح ... وكم غير واحد يستجوب... وبرزانة وذكاء تجيب على كل سؤال من أسئلة الفضوليين ...... وعلى كل استفهام من غبية أو غبي ... وكلما اقترب الوقت ازداد قلبها اضطرابا وسارع فى الخفقان ... وكم من انتفاضة هزتها كلما سمعت دقة بالباب! وكم من صدمة فى القلب تخفيها اذا ماشعرت بوطء اقدام فى الشارع، ولكن سرعان ماتخفى الكونتس اضطرابها بحكاية أو مسألة تطرحها على الحضور تتعلق بالمحصول تعرضها على زائريها عند ذلك ترى نقاشا قد دار حول محصول التفاح هذا العام...وآخر حول شراب التفاح... ومستقبله فى الشمال وما أشبه ذلك حتى نسى المجتمعون التجسس عليها . ولهوا بالتفاح عن مراقبة حركاتها وصاروا لا يرون فيها الا مظهرا طبيعيا لا ريبة فيه .

أما المدعى العام وواحد من قضاة المحكمة فكانا قليلى الكلام ، كثيرى الانتباه والملاحظة يرقبان كل حركة من حركاتها وكل لمحة فى وجهها وينصتان الى مايقع خارج الصالون بالرغم من ضوضائه ، وهمابين لحظة وأخرى يوجهان لها سؤالا محرجا ... فتجيب عنه بحذق وحضور ذهن خارق ! لله ما أشجع الأم .

ودخلت مدام داى تستنشق هواء الغرفة الجميلة — تلك الغرفة التى أعدتها لابنها أوجست ! ابنها الذى حان موعد حضوره ! ابنها الذى تنتظره بفارغ الصبر . تنتظره بقلب خفاق ، مضطرب، وفكر مبلبل ، وفؤاد مكاوم ، مهموم — آه يا ربى ! لقد حان الوقت ولم يأت بعد! هل ثمة ما حال دون قدومه ؟ لا. إن قلبي يحدثنى أنه سيكون هنا بعد لحظة. إنه حى. لا زال أوجست حيا ...

أنصتى ! ألا تسمعين شيئا يا بريجيت ؟ أواه . أهب حياتى لمن يخبرنى أهو فى السجن الآن أم هو فى الطريق الى! لا أريد أن أفكر فى ذلك ...

وجالت مدام داى بنظرات ملؤها الحنان فى غرفة ضيفها الكريم . كأنما تريد أن تسأل نفسها هل ينقص ترتيبها شيء ! : الموقد جاهز يشع منه الدفء . والستائر مرخاة محكمة . والأثاث نظيف يلمع ويبرق . ولو نظرت الى السرير وترتيبه لحكمت بأنه نظم بيد الأم نفسها . بل إن ترتيب هذه الزهور الأنيقة لينم عن آمال هذه السيدة وعظيم حبها لولدها .

انظر الى هذا العشاء الفاخر الذى أعدته له ! انظر الى هذه الفطيرة وهذه الحلوى ! انظر تجدها لم تنس شيئا يحبه ! انظر حتى أتفه الأشياء ! الحذاء — القميص — زجاجة

نبيذ معتق — كل شيء . كل شيء ! ليس فى الدنيا من مخلوق يعرف مطالب جندى شاب متعب — غير الأم !

— بريجيت !

— اطمئنى يا سيدتى ! مالك ترتجفين هكذا . ثق بأنه عائد بإذن الله ولم يعد الآن بعيدا عن المنزل . مسكين سيدى أوجست ! لا بد وأنه قطع الطريق كله على الأقدام !

— ها هى ساعة الكنيسة تدق الثامنة الآن يا بريجيت ! أواه ! متى ينصرف هؤلاء الضيوف !

*
* *

ذلك هو الموقف فى بيت الكونتس . وتلك كانت حالتها فى هـذا المساء . بينما ترى الآن فى طريق (باريس — شربورج) شابا يرتدى بذلة قصـيرة سوداء من ذلك الطراز الذى حتمته الثورة — يقطع الطريق ماشيا ، قاصدا (كارنتان) .

ولم يكن لقانون " التجنيد العام " الذى جعل كل شاب تحت السلاح فى تلك الفترة نظام ولا شبه نظام . إذ كانت شواغل الجمهورية لا تمكنها من تجهيز كل جنودها بالملابس العسكرية . لذلك كثيرا ما كنت ترى جموعا من " المجندين " فى ملابسهم المدنية . وكانت " الآيات " المجندين تسبق الفرق المنظمة أو تتأخر عنهـا عند كل مرحلة حسب طاقتهم فى المسير . ليتحملوا قطع الطريق الطويل . وكان يجوز للواحد منهم أن يسبق طابوره أو يتأخر عنه بمسافة ما إذا كانوا يقصدون " محطة " معينة . فهذا " المجند " الشاب الذى نحن بصدده كان يسبق (ألايه) بمسافة ما . ذلك (الألاى) القاصد قرية (كارنتان) والذى تلق عنه عمدتها تعليمات باستقباله وإيواء كل أفراده حسب المتبع ....

ترى الآن الفتى " المجنـد " وقد صار على مقربة من القرية . يجد فى السير بالرغم من فتور قواه .

وكان مسكن العمدة على مقربة منـه فلم يلبث أن أدركه . وجلس ليستريح عند رواقه الخارجى على مصطبة من الحجر ينتظر " تذكرة الإيواء " التى طلبها ....

ولكن العمدة أرسل فى استحضاره أمامه . وإذا به يتشكك فى أمره ويوجه له أسئلة دقيقة ! وكان " مجنـدنا " شابا وسيم الطلعة . بل يلوح من وجهه أنه من سلالة الأشراف :

— ما اسمك ؟

— جوليان چسيه

— ومن أين أنت آت ؟

— من باريس .

— هل زملاؤك بعيدون عن هنا ؟

— إنى سبقتهم بثلاثة فراسخ .

قال العمدة بخبث كما لو كان يفهم سرا : يظهر يامواطننا ، أيها الجندى الصغير ، أن قرية كارنتان تجذبك بقوة ما . . . على أى حال لا أطيل عليك يابنى ! ستعرف أين نوصلك خذ هذه " بطاقة الإيواء " . اذهب يا " جوسييه " ! . . . قال الاسم بتهكم وهو يناوله البطاقة وقد كتب عليها : "ينزل عند الكونتيس داى" . . . وقد قرأ الشاب هذا العنوان بشىء من التعجب والاستغراب . وانصرف قاصدا منزل الكونتيس . .

ويتحدث العمدة الى نفسه كأنما يفتخر بعمل الخير : " هو الآن على مقربة من منزل أمه . كم هو جرئ ! وسريع الإجابة غير متردد ! ولكن ما ذا كان مصيره الآن لو أنه وقع فى يد غيرى وطلب منه أوراق شخصيته ! " .

* * *

فى هذه اللحظة كانت تدق ساعة (كارنتان) التاسعة والنصف مساء . وكانت قناديل الردهة الخارجية لمنزل الكونتس تضاء ، دالة على أن زائريها آخذون فى الانصراف الآن . فها هم الخدم يساعدون " أسيادهم " فى البحث عن قباقيبهن . . . وعن أغطية الرأس ووشاحات الرقبة . وانتهى اللاعبون وصفوا حسابهم . . . والجميع ينصرفون بضوضاء جماعات أهل القرى . وقد لاحظت إحدى المنصرفات — عندما صاروا جميعا فى الشارع — أن المدعى العام لم يكن بين المنصرفين !

وكانت هذه الملاحظة صحيحة : فإن الموظف الكبير بقى ولم ينصرف . والآن يدور بينه وبين مضيفته المرتجفة ما يأتى :

— اسمعى يا مواطنتى العزيزة ! أنت تعلمين أن وظيفتى هى المحافظة على قوانين الجمهورية . . . فارتعدت فرائص الكونتس عند هذه العبارة . ولكنه استمر :

قولى بحق واكشفى السر حالا إن كان عندك سر . . .

— كلا . ليس عندى أى سر ! — فجلس المدعى فى مواجهتها وقد غير لهجته :

— اسمعي يا عزيزتي . أنت تعلمين أن كل كلمة صغيرة الآن ستؤدي بأحد رأسينا الى المقصلة ! لا تظني أني أجهل شيئا فقد لاحظت كل حركاتك في هذه الليلة . ورأيت من ارتباكك ما أيد عندي أن ابنك لا بد حاضر هنا هذه الليلة وأنك تنتظرينه . أليس كذلك ؟

فاجابت نفيا . ولكن علاها الاصفرار و[...]ت تقاطيع وجهها على الاضطراب بالرغم من شجاعة الليلة ! — على أي حال ياصديقتي يمكنك أن تنتظريه وتقابليه باطمئنان — انما على شرط أنه لا يبقى تحت هذا السقف إلا للساعة السابعة صباحا . أفاهمة ؟ وساعمل ترتيبي باكر متذرعا بحجة أنه وصلني بلاغ من مجهول . . . سادبره بنفسي ، وأحضر هنا بمقتضاه لإجراء اللازم . . . صوريا . . .

فشخصت اليه بعينين حائرتين تكاد الدموع تنفجر منهما . وفي هذه اللحظة الرهيبة يسمع طرق بالباب !

آه ! . . . صرخت الأم وفرائصها ترتعد وجثت على ركبتيها أمام محادثها :

نجه ! . عدني أنك منجيه . أتوسل إليك ! فانهضها بلطف قائلا : ثقي بي ! فسنعمل معا على إنقاذه مهما كلفنا الأمر ! ولكن . . . لتتذكر سيدتي هذه الخدمة . . . ولتعلم أنها من الآن أصبحت مدينة لي ب . . . بنفسها !

ويسود سكون طفيف يعقبه صوت بريجيت التي تدخل فرحة تجري ظانة أن الكونتس وحدها : سيدتي — سيدتي — ها ه . . . ولم تكمل آخر اللفظ عندما وجدت الموظف الخطير مع الكونتس ؟ . . .

فسألها بخبث : من ؟ . . .

فاجابت متلعثمة : انه ... أحد المجندين . أرسله لنا العمدة ليبيت هنا حسب القانون وها هي تذكرة إيوائه . فقال النائب بعد أن قرأ التذكرة : صحيح . أن عندنا تعليمات لاستقبال (ألاي) من المجندين هذا المساء — استأذنك (وخرج) .

ليس عند الكونتس وقت للتفكير في صدق نوايا النائب العام . . .

تراها الآن وقد علمت أن ابنها في غرفته ، قد اندفعت نحو السلالم . . . هي تجري الآن مضطربة هائمة ، وقد تلاشت قواها ، انها تدفع الباب ، وها هو الباب ينفتح ، وها هو ابنها ، وتراها الآن وقد ترامت في أحضانه ، تكاد تفنى بين ذراعيه : أوه ! ولدي ! —

ابنى ! — طفلى ! وانطلقت تقبله قبلات حارة لا تدرى أين تقع ، دون دراية ، ودون وعى ، كأنها فى حمى عنيفة .

وهنا ، فى وسط هذه الزوبعة من العاطفة ، تسمع صوت هذا المخلوق الحى الذي بين ذراعيها ، يخاطبها : سيدتى ! !

* * *

آه ! — ليس هو ! — صرخت بهذين اللفظين الأم المرتعدة ، وقد وقفت كالتمثال لا حراك بها ولا تنفس . وعيونها شاخصة نحو هذا الجند الأجنبي ، وحدقتا عينيها قد ثبتتا فى موضعهما لا تتحركان يمينا ولا شمالا ، كأنما الدهشة شلت أعصابهما .

وترى بريجيت تصيح : يا الهى المقدس الرحيم ، أى مشابهة بينهما !

وقد مضت فترة صمت رهيب حتى أن هـذا الضيف كان باهتا يرتجف لمرأى مدام (داى) .

اعتمدت الأم المسكينة على ذراع الخادم — زوج بريجيت — خائرة القوى ، محطمة الأعصاب ، وقالت فى أدب ورحمة : سامحنى أيها السيد . واعذرنى اذا لم أستطع القيام بشؤونك الآن وسيعنى بأمرك خدمى .

ونزلت كسيرة تسندها بريجيت من اليمين ، وزوج بريجيت من الشمال ، وأجلساها على مقعدها . ولم تقدر بريجيت صرامة الموقف عن سذاجة فتراها تعترض : كيف ياسيدتى يسمح لهذا الرجل أن ينام فى فراش سيدى أوجست ، ويضع قدمه فى (بانتوفلى) سيدى أوجست ، ويأكل تلك الفطيرة الجميلة التى أعددناها لسيدى أوجست ! كلا — كلا — لا يمكن ذلك ولو وضعوا رأسى على المقصلة . أنا سأذهب ل ......

فصاحت بها سيدتها : بريجيت ! — فوقفت جامدة . وقد تدخل زوج بريجيت معنفا بصوت خافت : كم أنت ثرثارة يا بريجيت ، أنت تفتنين سيدتنا بهذه الأغلاظ .

وتسمع الكونتس حركة فى غرفة الجند الأجنبي يفهم منها أنه أخذ يجلس على المائدة ليأكل ، فيشق عليها الأمر فتخرج طالبة الهواء فى جانب من الحديقة :

— دعونى وحدى هناك . فأقف قليلا فى بيت الزهور القريب من الشارع لعلى أتسمع قدوما جديدا خلال الليل .

وهكذا ظلت تعلل آمالها فى الظلام الحالك ، يتجاذبها عاملان قويان : عامل الخوف أن تكون فقدت ابنها وعامل الأمل أن يحضر قريبا .

وكانت اللحظات ساعات ، والساعات أدهرا وأجيالا . وكان الليل ساكنا مخيفا ، والظلام دامسا رهيبا . واذا السكون ينشق عن حركة فى الشارع وما أقساها لحظة على الكونتس ، وما أرهبها فترة عندما وجدت آلاى المجندين يدخل القرية ؛ وعندما شاهدت هؤلاء يتفرقون وكل شاب يأوى الى ملجئه . واذا الأمل يتهدم عند كل خطوة تسمع ، واذا القلب ينكسر عند كل ضوضاء تلحظ . واذ يسود الظلام وتسكن الطبيعة سكونا رهيبا مخيفا . وهى تنتظر وتترقب ، وتسمع وتتلمس طوال الليل الصامت المخيف . حتى لاح الصباح ، فانطوت على نفسها حيرة يائسة . والتوت الى مخدعها فاترة ضائعة . واذا بريجيت فى الصباح تذهب الى غرفة سيدتها لتوقظها وهى تسائل نفسها لماذا لم تخرج سيدتى — لقد تأخرت فى نومها كثيرا .

واذا هى تدخل الغرفة ، فاذا الكونتس جثة هامدة .

*
* *

ماتت الأم المسكينة !

زعمت بريجيت وهى تذرف الدموع الحارة أن نشيد المارسلييز الذى كان يتغنى به الضيف الغريب طول الليل هو الذى سبب موت سيدتها .

هكذا زعمت ، ولكن لا . لم تمت الأم من ذلك ، بل خيال صادق مبعثه احساس عاطفى قوى بين الأم وابنها . احساس ربط روحيهما بحبل واحد ، فاتصلتا اتصالا متينا وثيقا ، اذ فى اللحظة التى شاهدت فيها الأم من الخيال ما شاهدت ، كان الخيال حقيقة لا وهما ، وكانت الروح متصلة بينهما ، فقد ثبت فيما بعد أنه فى تلك اللحظة الرهيبة ، كان ابنها تفيض روحه ، اعداما بالرصاص !

سمير

طبعت هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٣٦١
الموافق ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٢ م

مدير المطبعة الأميرية
محمد بكرى

المطبعة الأميرية ٩٥٢٣–١٩٤٢–٣٥٠٠